المنار
١٣١٥
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
الحكمة ضالة المؤمن فحيثما وجدها فهو احق بها

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ٢١ جمادى الاولى سنة ١٣١٨ — ١٦ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠)

الدعوة حياة الاديان

انتشار الاديان والمذاهب وثباتها وعدمها . موقع الدين من النفوس واثره . غيرة المسلمين على دينهم . انتشار المسيحية في افريقيا والسودان . الحيرة والجهل في المسلمين . انتشار الاديان . زعم بعضهم ان سببه القوة الحاكمة ورده . قول الآخرين ان السبب كونها حقاً ورده . بيان السبب الحقيقي . الاسلام انتشر بالدعوة لا بالسيف . شأن الدعوة العظيم . المرتدون من الصنف الملقب بالاسلام . اهمال العلماء

«وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»

«قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»

قام في العالم الانساني اديان كثيرة ثبت بعضها وانتشر وانقرض البعض الآخر ووجد في هذه الاديان مذاهب متعددة كان شأنها شأن الاديان نفسها في الثبات والانتشار والفناء والاضمحلال . ومن الناس من يلتفت الى هذا الامر العظيم ولا يبحث في سببه ومنهم من يحكم فيه بغير هدى ولا عقل منير على ان البحث فيه بحث في حياة الاديان ومماتها وبقاء

المذاهب وفنائها وللدين فى نفوس البشر اعلى المنازل وموقعه منها اشرف المواقع فلا يرون مفخراً اسمى من سعة انتشار دينهم وكثرة سواد متبعيه وعزة اهله وقوة بنيه ولا يرون ذلة اشد ايلاماً ولا مهانة اوجع سهاماً من تقلص ظلال دينهم ومروق متبعيه منه او وقوع الحيف والظلم فيهم وضرب الذلة والمسكنة عليهم . وقوة هذه الوجدانات المؤلمة او الملائمة وضعفها يتبعان قوة التمكن فى الدين والثقة به والاعتقاد بوجوب تعميمه وشيئاً آخر هو من الاعتبار بمكان وهو تاريخ الدين وما يقصه على ابنائه من مجد سلفهم السابق واستعلائهم بدينهم على من سواهم وما نالوا به من سيادة وسلطان . وكل هذه الشروط متوفرة فى المسلمين ولا تكاد توجد كلها او اكثرها فيمن عداهم ولذلك تراهم على خذلانهم لدينهم فى هذه الازمنة وتنكبهم طريقه وانحرافهم عن صراطه يتنفسون الصعداء ويتململون من الالم اذا سمعوا بان زنجياً فى احشاء افريقيا او مغولياً فى اطراف الصين انتسب بعد الاسلام الى دين آخر او استبدل اسماً من اسماء الفلوج باسم محمد او احمد وان كانوا يعلمون انه من المسلمين الجغرافيين الذين ليس لهم من الاسلام الا الاسماء والالقاب . ولكنهم على هذا كله لا يبحثون عن الاسباب الحقيقية لطى الاديان ونشرها فيستعدوا لاستكمال السبب والعمل به ليمتنع الطى ويثبت النشر ويزداد امتداداً

نشر المؤيد من ايام مقالة عنوانها (الاسلام والمسيحية . فى البلاد السودانية) للرحالة ابن حام مكاتبه الشهير ذكر فيها انتشار النصرانية فى افريقيا بهمة المبعوثين المسيحيين قائلاً ان أهالى مستعمرة السنيغال الفرنساوية صاروا كاثوليكا غالباً واهالى مستعمرة الكونغو البلجيكية كذلك وسكان بلاد

اوجندة الانكليزية صاروا بروتستانتاً . ثم ذكر انه جاء ام درمان من خمسة اشهر ثلاث حملات عسكرية من الجنوب الاولى الانكليزية والثانية فرنساوية والثالثة بلجيكية . رجال هذه الحملات افريقيون وضباطهم اوربيون وكلهم مسيحيون وذكر الرحالة انه رأى فى زنوج اوجنده من يعرف العربية وبعد سؤاله عن اسمه ودينه علم انه كان مسلماً ثم تنصر لكثرة جدال المبعوثين له وعدم وجود عالم يزيل شبههم ولكثرة مواساتهم له ومعالجتهم اياه فى مرض الم به . ثم ذكر ان فى ام درمان الآن ثلاث بعثات مسيحية اميركانية بروتستنتيه ونمساوية كاثوليكية وقبطية ارثوذكسية ولكل بعثة مدرسة وكنيسة وليس للمسلمين والبلاد بلادهم مدرسة يُعلَّم فيها الاسلام طفل مسلم ولكل بعثة من هذه البعثات شعبة فى جنوبى فشودة توزع الانجيل (الذى نقلوه الى لغة البرابرة حديثاً) وتدعو الى النصرانية واكثر دعاتها من اقباط مصر يخدعون الزنوج ويختلبونهم بقولهم ان الترك (اسم يشمل المصريين عندهم) كلهم مسيحيون . . . واكّد الرحالة هذا بانه بلغه ان ملك الزنوج فى جهات (دارفونج) اعتنق النصرانية على انها دين الحكومة الخديوية والدولة العلية ويتوقع ان يصير اتباعه كلهم بروتستنتاً لان العبيد على دين ملوكهم كما يقال . وقد رمى الرحالة الفاضل علماء الازهر بالتقصير كغيرهم فى خدمة الدين والدعوة اليه ورمى الجرائد الاسلامية بالغش فيما تنشره من ذكر قوة الاسلام وامتداده وانتشاره بنفسه تفريحاً للناس وانماء لكسلهم وتماديهم فى الخذلان كما رمى الجمعيات الاسلامية بالتقصير فى عدم التصدى لبعث البعوث للارشاد وحفظ الاسلام على المسلمين وله الحق فى كل ماقال . نعترف له بالحق لانه الحق لا لأننا نرجو ان لاتصيب

سهامه المنار الذى يكاد يكون كله انذاراً للمسلمين بسوء مغبة ماهم فيه من الغرور وبياناً لتقصير العلماء فى خدمة الدين بما يقتضيه حال العصر والحاحاً عليهم بوجوب الاصلاح العلمي والديني ولم يثننا عن هذا عدم استعذاب كثير من الناس لهذا المشرب لما فيه من مرارة الحق لرجائنا أن الزمان سيوضح لهم انه الحق الذى لا محيص عنه وقد رأينا بوادر هذا فقوى الرجاء بل صار يقيناً

نشرت مقالة الرحالة فكان لها تأثير عظيم فى نفوس المسلمين والم سرى فى ارواحهم سريان الاعتقاد فى مداركهم ولكنه الم كسائر آلامهم فى طورهم هذا لا يزيد على حزن العجائز وتوجع الزمنى لايجيء بسعى ولا يبعث على عمل الا ان تكون حضانة الحركة الفكرية الاسلامية الحاضرة قد اتمت تربية نفوس نفر من المسلمين من حيث لا ندرى فيندفع بعضهم الى السعى فى رتق الفتق فى السودان ومداواة العلة قبل استحكامها . والذي نعرفه هو ما ابتناه قبلاً من طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغمة بحيث لا تدرى كيف يمكن تلافي هذا الامر ومن كان على علم بشيء من ذلك فانما عليه رسوم تلوح فى الخيال لا اثر لها فى الروح والوجدان فتبعث على العمل وهى ايضاً اجمالية غامضة لا تكفي فى هداية من يريد العمل اللهم الا افراداً لا يصلون الى منتهى جمع القلة يجب ان يصرف وقت الواحد منهم فى تربية بعض العلماء والفضلاء ليكونوا من المصلحين لا تعليم الزنوج مبادئ الدين . على انه لا يهدى العامل كالصدق والاخلاص اذا تكيفت بهما الروح وانفعل بهما الوجدان انفعالاً . ولله در من قال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

هذا ضرب من الاستشهاد اطلنا به الاستطراد لان الذى حرك النفس للكتابة فى هذا الموضوع انما هو كلام الرحالة فلنعد الى البحث فى السبب عن انتشار الاديان والمذاهب فنقول : يذهب الاكثرون الى ان القوة الحاكمة هى السبب الوحيد فى ذلك كما انها السبب فى كل اصلاح وافساد فما شاءت الحكومة كان وما لم تشأ لم يكن وقد بارز (المنار) هذا الرأي بالحرب منذ انشائه وهيهات ان يقتنع بالكتابة الا الاقلون على اننا لا ننكر ان القوة الحاكمة تستطيع تأييد السبب الحقيقي وتعزيزه كما تستطيع خذله وتهديد القائمين به لكي يهنوا ويضعفوا ولكنها ليست هي عين السبب واذا هو وجد فلا تستطيع اعدامه وربما كان عملها على طية من علل الانتشار وضغطها على اهله من اسباب الانفجار وما وجد دين ولا مذهب لم تقاومه القوة وتواثبه الحكومة وقد انتصرت تلك المذاهب والاديان . وخذل من ناواها من حاكم وسلطان .

ويقول آخرون ان العلة الحقيقية فى امتداد الاديان وانتشارها هو كونها حقاً فى ذاتها وعندما يرمى هذا القول على اطلاقه يسهل التسليم به ولا سيما على المسلم البصير الذى يعلم ان دينه الاسلام ماقام وانتشر بالسيف كما يزعمون وانما انتشر بكونه حقاً صارع الاباطيل فصرعها بالبرهان وظهور انطباقه على مصالح الانسان . واذا سئل هذا المسلم عن علة انتشار سائر الاديان يصعب عليه ان يجيب جواباً فيه مقنع لنفسه وللسائل لانه اذا قال « ان اليهودية والنصرانية انما انتشرتا بالحق ثم طرأ عليهما الباطل فظلتا سائرتين بحركة الاستمرار » يقال له وما تقول فى الديانة الوثنية التى هى اعم الاديان انتشاراً ؟ لا جرم انه يحار فى الجواب . ومن اهل الاسلام

طائفة قامت بمذهب بل دين جديد وهو آخذ بالانتشار حتى ان في مجاوري الازهر من يدين به ويدعو اليه يحاول هؤلاء ان يثبتوا ان انتشار الاديان والمذاهب هو الدليل على حقيتها وهؤلاء يدعون ان اصول الديانات الوثنية كديانة بوذه وبرهما وزرادشت صحيحة وسماوية ايضاً ليسلموا من هذا الايراد (هكذا بلغني عنهم) ولعلهم اذا سئلوا عن السبب في نجاح مذهب البروتستنت وانتشاره مثلاً يقولون انه لم يخرج عن قاعدتنا فان هذا المذهب انما دعا الى ترك التقاليد والبدع التي طرأت على النصرانية والقرب بها من اصلها الحق ولكن اثبات حقية الديانة الوثنية وحقية الاديان والمذاهب الاخرى التي انتشرت وثبتت الى الآن يتعسر او يتعذر عليهم والصواب ان هناك سبباً آخر للانتشار هو الذي انتشر به كل دين ومذهب في العالم سواء في ذلك الحق والباطل وانما الفرق بين الحق والباطل انه اذا قذف بالاول على الثاني يدمغه وانهما اذا تساويا في سبب الانتشار الذي نذكره يثبت الحق ويزهق الباطل كما ارشدنا القرآن الحكيم وبهذا كان للاسلام السلطان الاعلى على جميع الاديان لا بقوة السيف والسنان . ولو كان الحق ينتشر بذاته لأنه الحق لما كتب الله علينا (الدعوة) اليه — وهي العلة الحقيقية والسبب الصحيح — ولما كان من حاجة الى الانبياء والمرسلين ووراثهم من العلماء والمرشدين الداعين الى دين الله تعالى ولما وصف الله الدعوة اليه بانها احسن القول ولما امر نبيه عليه الصلاة والسلام بان يبين للناس ان سبيله وطريقته التي يسلكها هو واتباعه انما هي الدعوة الى الله على بصيرة

ما قام دين من الاديان ولا انتشر مذهب من المذاهب ولا ثبت

مبدأ من المبادئ الا بالدعوة . وما تداعت اركان ملة بعد قيامها ولا انتكث فتل شريعة بعد احكامها ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع اعلامها الا بترك الدعوة . فالدعوة حياة كل امر عام تدعى اليه الشعوب والاقوام سواء كان ذلك الامر حقاً واصلاحاً فى نفسه او كان باطلا مموهاً بالحق وافساداً مغشى بالاصلاح ومسمى باسمه . ومن راجع التاريخ يعلم انه ما وجد احد يدعو الى شيء ولم يجد تابعاً وها نحن أولاء نرى المذاهب الباطلة تنمو بالدعوة ويعم انتشارها والمذاهب الحقة تتضاءل وتعفى آثارها . وقد بدأ الاسلام يضعف منذ اقتنع اهله بالترف والنعيم واهملوا العناية بالدعوة اليه وانما طال زمن دور نموه مع كثرة ما صرفه من الموانع لقوته واصالته فى الحق ولذلك ما امكن لاهل دين آخر ان يردوا مسلماً يعرف الاسلام عن دينه بل صعب عليهم ان يردوا المقلدين فيه عنه لوضوح الفرق بينه وبين ما يدعون اليه من الاديان الاخرى وغاية ما امكنهم هو ان يفتنوا عدداً قليلاً ممن ليس لهم من الاسلام الا انهم من صنف يسمى اهله المسلمون ويسمى دينهم الاسلام كبعض زنوج افريقيا وجهال جبال الهند وقفارها الذين لا يعرفون من الاسلام الا حل اكل لحم البقر الذى يقدسه مجاوروهم ولو بقى لعلماء المسلمين سؤر من الغيرة لنفروا خفافاً وثقالاً الى ارشاد هؤلاء الجاهلين ولكنهم لا يعملون الا للمال . وقد طال بنا الشرح فاشفقنا على القراء من الملل وانا نرجىء البحث الى الجزء الآتى نبين فيه شروط الدعوة وآدابها على ما ارشد اليه قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة) الآية